

وفي الحقيقة إن هذا البناء النظيف من أجل ما يتصوره الفكر وألطف ما تشعر به النفوس فهو يحتاج إلى قريحة شاعر مطبوع أو قلم كاتب مجيد يصف ما تشعر به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهجة والآثار التاريخية. هذا ولا يسعني هنا إلا أن أثني التناء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفیق بك لما أبداه من اجاملة والملاطفة في زيارتنا هذه كما أني أشكر للأستاذ الزهراوي وعبد العزيز أفندي قولهم لي عنايتها في هذه الزيارة التي هي من أتمن الزيارات التاريخية.

### المتحف العثماني

ليس بين معاهد الأستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد ودخنته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الأوروبيين وأحسننا التقيد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عاديات الأمم القديمة كالرومانيين واليونانيين والفينيقيين والآشوريين والبابليين والمصريين والهيبيين والبيزنطيين المتأخرين من نوايس وثمانيل وأواي وآثار حجرية وخزفية وبنورية وكلها شاهدة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فأصبحت بلادها من جهة ولايات هذه السلطنة العثمانية أيد الله أركانها.

ومن أجل ما يشاهد فيه مسنجان عشروا على الأولى في صامسون والأخرى في ازنيق وأسد وجد في هاليكارناس (قصة بودروم) ويرد تاريخه إلى أربعة قرون ق. م وبجانبه ناووس روماني استخرج من دراج في ولاية أشقودرة ومن ألطف عاديات هذه الدار النواويس التي عثر عليها في عيذاء وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعى بعضهم أن أحدها هو ناووس امكندر المقدروني لأن الإسكندر توفي في العراق وجيء به إلى سورية على أن

روايات المؤرخين مختلفة في دفنه. ومن النووايس ناووس دفن فيه تابنيت ابن اشموناراز ملك صيدا، وعنه كتابة بالخط الفينيقي. وناووس الإسكندر من أغرب ما نقش النقاشون تحمينا عليه وعلى كثير من الآثار الموضوعة في قاعات متحف أهل العاديات والآثار ويبدلون لنا لو أردنا في الحصول عليها مئات الألوف من النصار ونووايس المتحف البريطاني والنوفر ليست بأعظم منها.

ومن عاديات المتحف ناووس معروف باسم صدراب أحد ولاة فارس فيه رسوم الصيد والقصر والحرب والنعب والسياق ووضيعة جنازة ومنه يستدل على ما وصلت إليه هذه الصناعة من تلوين الرخام في أيونيا في الساحل الغربي من بلاد الأناضول من الارتقاء في القرن الخامس ق. م وهناك تمثال ثماني عشرة امرأة من أعجب ما نقش النقاشون جعلت على أشكال متنوعة بعضهن قائنات وبعضهن قاعدات وهن يذرفن دموع الحزن والنهضة وبالقرب منهن ١٩ قطعة من نووايس رومانية عشر عليها في جبل لبنان وحمص وبيروت.

ومن النووايس البديعة ناووس اسمه ناووس ليكيا أي البلاد المعروفة اليوم بسواحل أضاية من أعمال قونية وهو رومي الصنعة محني الأسنوب. وعلى مقربة منه تمثالان من الخزف المقوش لأبي الهول عشر عليها في مدينة أورله أو ميناء قلازوم من أزمير.

قلنا أن الناووس المعروف بناووس الإسكندر هو من أبداع ما صنعت الأيدي ولذلك زاره ألوف من عتاء أوروبا وأميركا يعجبون بصنعه وفيه كثير من الرسوم والخطوط النفيسة الملوثة ومن الصور المزبورة عليها وقائع الإسكندر المشهورة. ومن كتاباته ما كتب بالخط الهيروغليفي المصري ومنها بالخط الفينيقي.

ومن الرسوم الموجودة في ناحية قرية ما يرجح أنه رسم الحرب التي نشبت بين الإسكندر في آيسوس أو أربيل وبين دارا ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق. م.

ومما يقع نظرك عليه في القاعة الرابعة بعض عاديات هيتية مثل أسود وجدت في زنجيري وقصورها وتمثال يمثل أحد منوك الهيتيين وقاعدة تمثالين لأبي الهول وتمثال من الحجر الأسود اسمه أسد مرعش كتبت عليه كتابات هيتية وهو أشهر أثر عثر عليه من آثار هذه الأمة حتى الآن.

والهيتيون أمة مختلفة كانت في القرن الخامس عشر قبل المسيح تنزل في جبال الأكراد في سورية وقبادو كيا وقسم عظيم من بلاد الأناضول حتى مجرى نهري الأهر (قيزل ايرمق) وكديز وأصولهم كثيرة متباينة بل أن البلاد التي كانوا مستولين عليها هي كما يقول الخققون في شمالي سورية أي في المنطقة الممتدة من فرع الفرات الأكبر إلى جبال طوروس. وقد أنشأوا على الفرات قلعة قارغاميش المعروفة الآن بجرابلس وأخذوا يهددون مدينة نينوى القديمة (الموصل) إلى أواخر القرن الثامن ق. م وبلغوا منتهى مجدهم بين القرن

العاشر والثامن ق. م وقد استولى على هذه القلعة صاراغون ملك آشور سنة ٧١٢ وباستيلائه عليها محي اسم الهيتيين من عالم الوجود. عني أن تاريخ هذه الأمة مع ما بلغت من الحضارة بين الأمم القديمة لم يؤثر عنها بالذات شيء يدل على عظمتها لأن خطها لم ينحل حتى الآن ويرجى أن يكتشف كما اكتشف الخط المصري القديم بواسطة حجر وجد في رشيد كتب بالخط المصري مترجماً إلى اليونانية.

ومن العاديات المهنة في المتحف الأواني الزجاجية والخزفية وأحسن الزجاج ما جاء من سورية وقد كتب على كل قطعة منها اسم البلد الذي عثر فيه عليها. ومعلوم أن تاريخ

وجود الزجاج قديم يتعذر معرفته وهناك قطع من الفسيفساء عثروا عليها في استانكوي أو جزيرة كوس من جزائر البحر الرومي ويرد تاريخها إلى اللور اليوناني وآثار معبد آشمون في صيداء من آثار الفنيقيين الخزفية وآثار سوكة وأياثلوغ ونامورد من أعمال إزمير وغيرها من بلاد الأناضول وأكثرها يوناني. وفي قاعة أخرى أو ان وجدت بالقرب من صور وويج في ولاية مناستر في بعض المدافن وأوان في ليندوس (رودس) وغيرها يرد تاريخها إلى أدوار مختلفة يونانية ورومانية ومنها ما عثر عليه في لايسكي من أعمال كليولي.

ومن الآثار المهمة في القاعة الحادية عشرة عاديات أرض فلسطين ومنها ما عثروا عليه في جوار القدس ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن ق. م وما عثر عليه في بحيرة حمص في الجزيرة التي حفر فيها من القدور والأسرجة وقد اعتبروا القسم الأعظم منها من عهد الزمن النحاسي. وفيه قطعتان من المرمز وجدتا بالقرب من المسجد الأقصى وعليهما كتابات بالرومية تحظر على الغرباء أن يتخطوا معبد سنيان وإلا فيعاقبون بالموت. وهناك حجر كلسي عثروا عليه في القدس مكتوب عليه كتابة فينيقية وفيه ذكر جر الماء تحت الأرض في قناة حفرت في الصخور من نبع جيحون إلى سور القدس حتى تصل إلى نبع عين سلوان وينسبونده إلى الملك حزقيا أحد من ورد ذكرهم في سفر المنوك من التوراة.

وليست العاديات المصرية كثيرة في المتحف ومنها صور أبي الطول وفي ثلاث قاعات الآثار الكلدانية والبابلية والآشورية وأكثرها ألواح وأوان وأكواب وعظام كتبت بالخط المساري.

ومنها ناووس من الخرف يرد إلى عهد بابل أي إلى نحو ٦٠٠ سنة ق. م ومنها مسنة من الحجر من مخلفات نابونيد ملك بابل كسرهما سنحريب في وقائعه مع السيتين. ومن العاديات ما وقع في خرابة نيفر في الشمال الشرقي من الديوانية من أعمال بغداد ومنها ما وجد في تلولو من أعمال البصرة ومنها ما عثروا عليه في سيارا أو ابى الحبة من أعمال الجزيرة.

وقد خصوا القاعة السابعة عشرة بالآثار التدمرية والحميرية ومن الآثار التدمرية ما يستدل منه على أن صنعها من بدائع صناعتهم وإن كانت تشبه الصناعات اليونانية لأن مملكة تدمر وإن كانت يهودية لم يبق فيها أثر لهم لأن الآشوريين قرضوا عنراهم ثم ارتقت على عهد أوليانوس أوائل ظهور النصرانية ودخلت في حوزة المملكة اليونانية على عهد الإسكندر واستعملت اللغة الرومية ولا سيما في الرسميات وإن كانت لغتها الآرامية أو السريانية. أما الآثار الحميرية فهي آثار أهل سبأ ومعين في الجوف وعاصمة سبأ مأرب وأهل معين كانوا نازلين في قصبة العلى في جوار مدائن صالح ومملكة حمير اليمنية إنما نشأت بعد هلاك مدينة سبأ ومعين واستدلوا من ذلك على أن الخط الحميري يشبه الفينيقي ولكن دخله قلب وإبدال كثير.

ومن العاديات آثار قبرص منها تمثالان للنعبودين هو كول وأفروديت وأوان خزفية ونذور. ومنها حني آشورية وفينيقية وحني وجواهر وأقراط وأساور وقلائد وجدت في مدينة ترواده أي في محل اسمه الآن حصارلق جبل قار وهنلسون أي بين جناق قلعة وبحر الأرخييل وكانت هذه عاصمة قديمة مشهورة. ومنها ما وجدوه في ترال من أزمير وليبية من طرابلس الغرب وبرقة وغيرها في طرسوس وآخر في برعمة وفي نابلس.

هذه جملة أشرنا بها إلى ما حواه المتحف وله قسم آخر إسلامي جعلوه في قصر الصيني أمام البناء الجديد كما قسمت مصر عادياتها إلى متحفين متحف الآثار المصرية واليونانية القديمة والمتحف العربي. وقصر الصيني هذا مما أمر بإنشائه السلطان محمد الفاتح ولكن لم يبق عليه من آثار أيامه إلا أثر ضئيل جداً مثل الآثار التي يحويها وبعض عاديات وأكثرها من قرون الانحطاط أي القرون الخمسة الأخيرة ومنها بعض الصيني الذي كان يعمل في دمشق وروودس وأزنيق وكوتاهية وبعض الكاشاني المكتب بالكوفي ومنها ما عثر عليه في مصر وقونية ودمشق وبورصة وكان يعمل فيها كما تعمل الطنافس البديعة في معامل دمشق وتوقاد وأصفهان وغيرها.

ومن عاديات قصر الصيني درفان من صنع قره مان وقونية ومنها رحالي وقماقم وطنافس ومصاييح وخطوط صدرت عن بعض المنوك العثمانيين ومنبر من صنع الرها (أورفة) وأوان خزفية وجدت في الرقة من أعمال حلب وجلود كتب من صنع مهرة الجنديين من العرب والفرس والتوك وأصونة وخزائن وبعض آثار حجرية يقال أنها أموية عثر عليها في القدس وبعض نقوش حيوانات رسمت على الزجاج من الأدوار التركمانية والآرتقية ومنوك بيني آرتق من ممالك منكشاه بن الب أرسلان السلجوقي حكموا جهات ماردين وديار بكر وحلب إلى سنة ٨١١ هـ وانقضت دولتهم بعد حكم ٣٣٤ سنة إلى غير ذلك من العاديات والآثار وما عرضه عود طرب أو طنبورة وهي من صنع عصور الظلمة أيضاً.

وبالجملة فإن العاديات القديمة التي جعلت في البناء الجديد كلها حسنة ومقيدة لو لم يكن الكسر والتحطيم يغلب عليها لما قاسته من أهاويل الدهور أما العاديات التركية

والعربية الأخيرة فتافهة على الأكثر. وفي الأستانة محل قرب جامع السلطان أحمد عرضوا فيه صور الإنكشارية مجسمة من الجبس من صنع النمسا وهم يلبسون ألبستهم المعروفة وجالسون على مراتبهم وعاداتهم لا بأس بزيارتها لما فيها من الفائدة التاريخية.

### سيرة العلم والاجتماع

#### تربية صغار العملة

في السويد الآن ٧٢ معيلاً لصغار الأولاد منها ١٦ في استوكهلم والمخترعة لهذه المدارس العقينة كوستاف سيستا رتزويس التي أنشأت أول معمل من هذا النمط منذ عشرين سنة تذكراً لأمتها وهذه المعامل هي عبارة عن منجأ لأولاد الشعب الذين لا تفتح لهم المدارس أبواها إلا صباحاً من الساعة الثامنة إلى الواحدة أو بعد الظهر من الساعة الثانية إلى السادسة فيعلم فيها الأولاد صنع الخشب وتطريق الحديد وإصلاح الثياب وخطاتها وخصف النعال وصنع الأحذية. وقد تبين لهذه المعامل أن الأولاد يعنون كثيراً بالثياب التي يخطونها بأنفسهم ولا يقصد من هذه المعامل إعداد عملة ماهرين خبيرين بل يكتفى بتسرين ما خصوا به من الحدق والنظر والاجتهاد وتقوية ميلهم الحسن إلى الاعتياد على العمل ولا يسمح لولد أن يتخنى عن صنعة قبل أن يعمل بنفسه شيئاً فيها يرضى عنه معلموه ومعلوم أن الحدق في العمل اليدوي يكون قبل الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة هذا مع ما في عندهم من التأثير الأدبي النافع ويزيد ذلك سهر الأساتذة على تلامذتهم ومعاملتهم لهم بالحب والحرية ولا تعطيم هذه المعامل لقاء عندهم سوى طعامهم وهم يهينونه بأنفسهم معظم الأحيان.

أترابنا العميان